



عقيدة الخلاص في التراث الإنساني والديني



الإعداد والإخراج الإلكتروني
www.almaaref.org

مركز الإمام الخميني الثقافي في لبنان

سلسلة الندوات الفكرية

عقيدة الخلاص في التراث الإنساني والديني

عقيدة المهدوية وخلاص البشرية. الرؤية والموقف

الشيخ مالك وهبي

بنية الوجدان الإنساني والخلاص. أبعاد وتجليات

الدكتور أسعد علي

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
بيروت . لبنان . المعمورة . الشارع العام
هاتف: ٠١/٤٧١٠٧٠ - ص.ب. ٢٤/٥٣ / ٣٢٧ / ٢٥



الإعداد والإخراج الإلكتروني
www.almaaref.org

الكتاب : عقيدة الخلائص في التراث الإنساني والديني

نشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية

إعداد: جمعية مراكز الإمام الخميني الثقافية

المكان : مركز الإمام الخميني الثقافي-بيروت- حارة جريك-شارع دكاش

الزمان : الجمعة 28 تشرين أول / 2002م

بطاقة هوية

الموضوع: ندوة فكرية

العنوان الرئيسي:

عقيدة الخلاص في التراث الإنساني والديني

العنوان الفرعي الأول:

عقيدة المهدوية وخلص البشرية - الرؤية والموقف

المحاضر: الشيخ مالك وهبي - أستاذ في الحوزة العلمية

العنوان الفرعي الثاني:

بنية الوجدان الإنساني والخلص - أبعاد وتجليات

المحاضر: الدكتور أسعد علي - أمين مجمع نهج البلاغة العالمي

مقدم الندوة:

الشيخ سامر عجمي

منظم الندوة:

مركز الإمام الخميني الثقافي - بيروت



د. أسعد علي الشيخ سامر عجمي الشيخ مالك وهبي في الندوة



من الحضور



هذا الكتيب عبارة عن المادة
الثقافية للندوة الفكرية التي نظمها
مركز الإمام الخميني الثقافي بمناسبة ذكرى
ولادة الإمام محمد بن الحسن المهدي المنتظر ع.
تحت عنوان:

عقيدة الخلاص

في التراث الإنساني والديني

وذلك بتاريخ ٢٨/ تشرين أول/ ٢٠٠٢م.

كلمة مقدم الندوة

الشيخ سامر عجمي^(*)

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أول من خلق الله نوره وعلى آله موضع سره، لا سيما خاتم دائرة الولاية محمد بن الحسن العسكري المهدي أرواحنا له الفداء، ونبارك لكم جميعاً ذكرى ولادته الميمونة، كما نرحب بكم ونرحب بضييفنا العزيزين الأستاذ الدكتور أسعد علي وسماحة الشيخ مالك وهبي.

إن القراءة الاستقرائية للتاريخ الثقافي العام للشعوب يخلص بنا إلى نتيجة مفادها قانون عام، من أن قضية الخلاص فطرية في الوجدان الإنساني، والحياة الدينية للشعوب تمتد جذورها إلى الإنسان الأول، إذ أن كل إنسان ينشد الخلاص ويسعى للقائه، على حد سواء في ذلك المتدين والعلماني، ولكن الخلاص ليس على صورة واحدة، بل يتفاوت ويختلف، ومنشؤ الاختلاف والبيئونة ليس أصل ثبوت الخلاص، بل المفهوم والمصداق، بمعنى ما هي حقيقة الخلاص وماهيته؟ وما هو المصداق الذي ينطبق عليه ذلك المفهوم ويندرج تحته، بحيث يكون مظهر تجليه؟ والذي يشكل شاهداً على فطرية قضية الخلاص، كونها ذات بعد شمولي وغير خاضعة لمقولة الزمكان، إذ لا تكاد نجد ديناً من الأديان سواء الأرضية كالبوذية

والكونفوشوسية والبراهمية والهندوسية وغيرها، أو الأديان السماوية الإبراهيمية كاليهودية والنصرانية والإسلام، إلا وتنطوي على فكرة الخلاص، وإن اختلفت مفهوماً ومصداقاً. وكذلك فالعلمانية تعتقد الخلاص، فالماركسية مثلاً، ترى إن آخر تجليات تطور الاجتماع الإنساني من خلال فلسفة الحركة الحاكمة على التاريخ ستنتهي بالمجتمع الشيوعي، وفيه خلاص البشرية. وكما سمعنا في أخريات القرن الماضي فوكوياما في نظريته نهاية التاريخ والإنسان الأخير، أن خلاص الإنسانية يكون بالديمقراطية الليبرالية. وعلى أي حال فنحن كشعبة اثني عشرية نعتقد بالمهدي المنتظر محمد بن الحسن العسكري، المولود في ١٥ شعبان سنة ٢٥٥ للهجرة، مخلصاً ومنقذاً ومرشداً، وأنه سيملاً الأرض قسطاً وعدلاً، بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، وأن علاقتنا معه تتحدد وتتجلى من خلال عدة محاور:

أولاً: معرفة الإمام عليه السلام، فجاء في الحديث: «لا يكون العبد مؤمناً حتى يعرف الله ورسوله والأئمة كلهم وإمام زمانه».

ثانياً: حب الإمام وعشقه، لا ذلك الارتباط العاطفي المجرد فقط، بل المنطلق من المعرفة.

ثالثاً: الطاعة والالتزام «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» وبهذا تجتمع الكمالات الثلاث في الإنسان، كمال العقل بالمعرفة وكمال القلب بالعشق وكمال الجسد بالطاعة والالتزام.

حول موضوع «عقيدة الخلاص في التراث الإنساني والديني» معنا سماحة الشيخ مالك وهبي أستاذ في الحوزة العلمية يحدثنا ضمن محور «عقيدة المهدوية وخالص البشرية الرؤية والموقف».

عقيدة المهدوية و خلاص البشرية - الرؤية والموقف

الشيخ مالك وهبي (*)

مقدمة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم،
وصلى الله على رسوله الكريم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين،
السلام عليكم سادتي العلماء، إخواني الحضور، أخواتي
الحاضرات، ورحمة الله وبركاته.

إن موضوع الإمام المهدي ﷺ مرتبط بشقين، شق من حيث المبدأ
التاريخي، يعني ولادة ووجود الإمام صاحب الزمان ﷺ، ومرتبطة
أيضاً بشق عند النهاية قد نسميه نهاية الزمن التاريخي، وهو
الخلاص وظهور الإمام الحجة ﷺ، وما بين الولادة والظهور
«الغيبية».

لا نستطيع أن نفهم مسألة الخلاص إلا من خلال فهم الغيبة
وموجباتها، ومدى ما تركه هذه الغيبة من محفزات لدى الفرد
والمجتمع في السعي نحو الخلاص، إن أهم عنصر من عناصر
تشكُّل الغيبة وتحقيقها، هو إيجاد هذا الدافع، وعندما يدرك
الإنسان مدى مسؤوليته في تحقق هذه الغيبة، يدرك أيضاً دوره في
تحقق الخلاص. إذ أن هناك بحث مطروح في مسألة الخلاص، هل
أن الخلاص هو فعلٌ إلهي محض إعجازي؟ أم هو فعلٌ بشري

مبارك ومؤيد من الله تعالى؟ فهناك فرق بين أن نقول: إن الخلاص الذي نتظره لا يكون إلا عبر إرادة إلهية إعجازية محضة، وبين أن نقول إن للإنسان دوراً في تحقق هذه الغاية، ولهذا لا بد أن نعود من جديد، لربط المسألة بمسألة الغيبة، وحتى أدخل في هذه المسألة علياً أن أفترض جدلاً مسلمات، لأننا نتحدث عن قضية الإمام المهدي عليه السلام، فهذه القضية تركز على مبادئ عقائدية ومبادئ ثقافية أو فلسفية ترتبط بالنبوة وفلسفة النبوة وسريانها إلى مبدأ الإمامة وفلسفة الإمامة، فنفترض أننا آمنة بضرورة هذه النبوة وضرورة هذه الإمامة، وأن الإمامة استمرار لهذه النبوة، وبالتالي إذا نتطلق من مبدأ أنه لا بد من وجود نبي أو وصي نبي في كل مرحلة من مراحل التاريخ، وحيث أن القرآن الكريم، والمعروف والمتواتر والمسلم به عند جميع المسلمين أن رسول الله صلى الله عليه وآله هو خاتم الأنبياء والرسل، وأنه بعد نبينا محمد صلى الله عليه وآله لا نبي، فيتعين أن يكون الاستمرار متقدماً بأوصياء النبي صلى الله عليه وآله، الذين نسميهم بالأئمة عليهم السلام، بحسب البحث المبدئي العقائدي تؤمن بأن الإمام لا بد أن يكون معصوماً كما النبي، وهذه مسلمات نتطلق منها لا نستطيع أن نتجاوزها، وليس المقام مقام إثباتها ولهذا نفترضها مسلمة حين إكمال البحث في موضوع المهدي، وإلا تارة فكرة الخلاص يمكن أن نصورها بمعزل عن مسألة المهدي والإمام المهدي عليه السلام، وأخرى نريد أن نبحث مسألة الخلاص في خصوص ما له علاقة بالإمام المهدي عليه السلام، ليكون هدفنا من هذا البحث أن لا خلاص خارج فكرة المهدي، يعني خارج فكرة الإمامة، وبالتالي خارج فكرة هذا المبدأ الإلهي الذي آمنة به عقائدياً، وهو ضرورة النبوة ثم

ضرورة الإمامة، إذ لو أمكن وجود خلاص من دون إمام معصوم، لانتفت الضرورة لوجود النبي، ولانتفت الضرورة لوجود الإمام، وبالتالي يكون البحث قد انتهى من هذه النقطة ولهذا علينا أن نبدأ مسلّمين كما هو مقتضيات البحث بضرورة وجود النبوة وضرورة وجود الإمامة لنبحث في مسألة الخلاص، وبالتالي إذا نحن نؤمن بأن وجود الإمام المعصوم ظاهراً كان أو غائباً، أن هذا الوجود أمر لا بد منه بمعزل عن الفكرة المطروحة في مجال آخر من البحث، وهو مسألة الضرورة الكونية لوجود الإمام وهذا بحث يتخطى البحث العقائدي، نتحدث عن ضرورة وجود الإمام المعصوم في المجتمع كهادٍ وكمُرشدٍ وكمكملٍ لدور النبي ﷺ، وكضمانٍ وآمنٍ من أي انحراف أو تشويه أو تبدل أو تغيير، في ما يتعلق بشرع الله سبحانه وتعالى وفيما يتعلق بطريق الوصول إليه.

المعصوم ضماناً لخلاص الفرد والمجتمع

نحن نعتقد أن المعصوم ﷺ يشكل ضماناً إلهية وحيدة، تأخذ بيد الفرد والمجتمع نحو الخلاص، وهذا المعنى يلخصه حوار معروف عن هشام بن الحكم، ذكر في أصول الكافي ج ١، ص ٢٢٣-٢٢٤، عن يونس بن يعقوب قال: كان عند أبي عبد الله ﷺ جماعة من أصحابه منهم حمران بن أعين، ومحمد بن النعمان، وهشام بن سالم، والطيار، وجماعة فيهم هشام بن الحكم وهو شابٌ فقال أبو عبد الله ﷺ: يا هشام، ألا تخبرني كيف صنعت بعمر بن عبيد وكيف سألته؟

فقال هشام: يا ابن رسول الله إني أجلك وأستحييك ولا يعمل

لساني بين يديك، فقال أبو عبد الله: إذا أمرتكم بشيء فافعلوا . قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة، فعظم ذلك عليّ، فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة فأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد وعليه شملة سوداء متزر بها من صوف، وشملة مرتد بها، والناس يسألونه، فاستفرجت الناس فأفرجوا لي، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتيّ ثم قلت: أيها العالم، إني رجلٌ غريب تأذن لي في مسألة؟ فقال لي: نعم، فقلت له: ألك عين؟ فقال: يا بني أي شيء هذا من السؤال؟ وشيء تراه كيف تسأل عنه؟ فقلت هكذا مسألتني، فقال: يا بني سل وإن كانت مسألتك حمقاء، قلت: أجبني فيها، قال لي: سل . قلت: ألك عين؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أرى بها الألوان والأشخاص . قلت: فلك أنف؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أشم به الرائحة . قلت: ألك فم؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أذوق به الطعام، قلت: فلك أذن؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الصوت، قلت: ألك قلب؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أميز به كلما ورد على هذه الجوارح والحواس، قلت: وليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟ فقال: لا، قلت: وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة، قال: يا بني إن الجوارح إذا شكت في شيء شمته أو رأته أو ذاقته أو سمعته، ردتته إلى القلب فيستيقن اليقين ويبطل الشك .

قال هشام: فقلت له: فإنما أقام الله القلب لشك الجوارح؟ قال: نعم، قلت: لا بد من القلب وإلا لم تستيقن الجوارح؟ قال: نعم، فقلت له: يا أبا مروان فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتى

جعل لها إماماً يصحح ويتيقن به ما شك فيه، ويترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم وشكهم واختلافهم، لا يقيم لهم إماماً يردون إليه شكهم وحيرتهم، ويقيم لك إماماً لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكك؟ فسكت ولم يقل لي شيئاً.

ثم التفت إليّ فقال لي: أنت هشام بن الحكم؟ قلت: لا، قال: أمن جلسائه؟ قلت: لا، قال: فمن أين أنت؟ قال: قلت: من أهل الكوفة قال: فأنت إذاً هو، ثم ضمني إليه، وأقعدني في مجلسه وزال عن مجلسه وما نطق حتى قمت، قال: فضحك أبو عبد الله عليه السلام وقال: يا هشام من علمك هذا؟ قلت: شيء أخذته منك وألفته، فقال: هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى.

نتحدث عن هذا الموضوع في دائرة فكرية بحتة لا في دائرة عرفانية، وهو أن وجود المعصوم يمثل هذه الضمانة، التي تمسك بالمجتمع، لتأخذه نحو أهدافه وغاياته، بدون أن يكون هناك اضطراب وإلى آخره، هذا المعنى ملخص في هذه القصة ومعروفة في مروياتنا ومذكورة في أدبياتنا.

الخلاص على المستوى الثقافي والعقائدي

أيضاً نحن نعتقد، وهذا كله له ريب بمسألة الخلاص، عندما أريد أن استخلص الفكرة لأصل إلى هذا الخلاص من رؤية دينية، أن المشكلة في المجتمع تكمن من عدة جهات سواء في الفرد أو في المجتمع، بتعبير أصح أن هناك مشكلة على المستوى الفكري، وأن هناك مشكلة على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وأن هناك مشكلة على المستوى العقائدي، وهي مندرجة بالعنوان العام

لفكري، وهناك مشكلة تتعلق بالظلم والعدل، فلسفة النبوة والإمامة تقوم على أساس أن الإنسان لوحد لا يمكنه أن يجد الضامن والضمانة للتخلص من المساوئ والشور الاجتماعية والاقتصادية وغيرها بمعزل عن هذا العون الإلهي، وهذه الشرور أو الأخطاء هذا الخلل الذي قد يقع هو بالواقع قد يكون ناشئاً من منظومة فكرية وثقافية، وبالتالي لا يمكن بمعزل عن تصحيح تلك المنظومة الفكرية والثقافية أن نقوم بتصحيح عمل مما يتعلق بالجانب الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

وهذا يذكرني بحديث مروى عن يونس بن يعقوب قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فورد عليه رجل من أهل الشام فقال: إني رجل صاحب كلام وفقه وفرائض وقد جئت لمناظرة أصحابك، فقال أبو عبد الله عليه السلام: كلامك من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله أو من عندك؟ فقال: من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله ومن عندي، فقال أبو عبد الله عليه السلام: فأنت إذا شريك رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: لا، قال: فسمعت الوحي عن الله عز وجل يخبرك؟ قال: لا، قال: فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: لا، فالتفت أبو عبد الله عليه السلام إليّ فقال: يا يونس بن يعقوب هذا قد خصم نفسه قبل أن يتكلم، فقال للشامي كَلِّمْ هذا الغلام - يعني هشام بن الحكم - فقال: نعم، فقال لهشام: يا غلام سلني في إمامة هذا، فغضب حتى ارتعد ثم قال للشامي: يا هذا أربك أنظر لخلقه أم خلقه لأنفسهم؟ فقال الشامي: بل ربي أنظر لخلقه، قال: ففعل بنظره لهم ماذا؟ قال: أقام لهم حجة ودليلاً كيلا يتشتتوا أو يختلفوا، يتألفهم ويقيم أودهم ويخبرهم بفرض ربهم، قال: فمن هو؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وآله، قال هشام: فبعد رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال: الكتاب والسنة، قال هشام: فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنة في رفع الاختلاف عنا؟ قال الشامي: نعم، قال: فلم اختلفنا أنا وأنت وصرت إلينا من الشام في مخالفتنا إياك؟ قال: فسكت الشامي، فقال أبو عبد الله عليه السلام للشامي: ما لك لا تتكلم؟ قال الشامي: إن قلت: لم نختلف كذبت، وأن قلت: إن الكتاب والسنة يرفعان عنا الاختلاف أبطلت، لأنهما يحتملان الوجوه، وإن قلت: قد اختلفنا وكل واحد منا يدعي الحق فلم ينفعنا إذن الكتاب والسنة. إلا أن لي عليه هذه الحجة، فقال أبو عبد الله عليه السلام: سله تجده ملياً فقال الشامي: يا هذا من أنظر للخلق أربهم أو أنفسهم؟ فقال هشام: ربهم أنظر لهم منهم لأنفسهم، فقال الشامي: فهل أقام لهم من يجمع لهم كلمتهم ويقيم أودهم ويخبرهم بحقهم من باطلهم؟ قال هشام: في وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الساعة؟ قال الشامي: في وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم، والساعة من؟ فقال هشام: هذا القاعد الذي تشد إليه الرحال، ويخبرنا بأخبار السماء والأرض وراثه عن أب عن جد... أصول الكافي ج ١، ص ٢٢٥ - ٢٢٦.

والآن نؤكد أن وجود القرآن لوحده اتكالا على ما ورد في مضامينه، عندما يريد كل شخص منا أن يفهم القرآن بالطريقة التي يراها مناسبة، يوجد هذا شرخاً واختلافاً في النظرة، إلى مجموعة أمور ثقافية، لها انعكاس عملي على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والتشريعي، وجوانب مختلفة من الحياة، ومع ذلك نجد أننا لم نرفع هذا الاختلاف بيننا، ولهذا ورد في بعض الروايات، أن القرآن حملاً ذو وجوه، يعني لا يمكن أن نحسم خلافاً بيننا اتكالا على أن نصل إلى اتفاق حول فهم موحد للقرآن

الكريم، وبالتالي لا بد من طريقة، لأن مراد الله تعالى واحد لن يختلف ما أراده الله تعالى من الناس واحد، إذ لا بد أن نبحت حوله إذا اختلفنا فيما أن نكون جميعنا مخطئين، أو يكون أحدنا على الأقل على صواب، والباقون يكونون مختلفين.

إذاً ما هي الضمانة لكي نصل إلى مراد حقيقي لله تعالى من القرآن الكريم؟ هذا ما يمكن أن أسميه في هذه اللحظة بالخلاص الثقافي، والتطهير الثقافي والأمن الثقافي، وأن نصل إلى مرحلة تتمكن منها أن نقول هذا ما يريده القرآن، لا أن نبقى ونقول هذا ما نفهمه من القرآن، والمسافة بين ما نفهمه من القرآن الكريم وبين ما يريده القرآن الكريم مسافة مبهمة. لا نعرف هل هي عدم؟ ليكون فهمنا متطابقاً مع ما أراده القرآن الكريم، أم أن الهوة بعيدة كل البعد؟ بحيث نكون في عالم والقرآن في عالم آخر، ما هي الضمانة لكي نصل إلى ما أراده القرآن الكريم؟ لا يمكن أن تكون الضمانة نحن، لأننا أثبتنا عبر ألف من السنين أو ألف وأربعمائة من السنين أننا لسنا إلا أقواماً مختلفين، لنا آراء مختلفة، معذورون في ذلك مسألة أخرى، لكن الوصول إلى ما يريده الله تعالى يتبين في التاريخ أنه لم نصل إلى هذه الفكرة القاطعة.

سؤال يطرح من يملك الحقيقة الكاملة؟

الإمام المعصوم عليه السلام هو من يملك الحقيقة الكاملة، لأنه هو الذي انكشف له مراد الله تعالى كشفاً قطعياً لا مجال فيه للظن أو الاجتهاد أو البحث عن أدلة وبراهين، هو مطلع إطلائاً تاماً وكافياً وافية على ما يريده الله تعالى، نحن قد نعجز عن أن نشبث لأنفسنا امتلاكنا للحقيقة الكاملة، لكن المعصوم ابتداءً من رسول الله صلى الله عليه وآله،

الذي أنزل عليه القرآن الكريم، واستمراراً بخط الإمامة والأئمة عليهم السلام هم يملكون تلك الحقيقة الكاملة. إذ أن نعثر عليها إلا من خلال العثور على صاحب العصر والزمان، لنحقق هذا الخلاص على المستوى الثقافي، ونصل إلى الحقيقة الكاملة مطهرة من كل الشوائب ومن كل الأخطاء ومن كل خلل فيها. هذا على المستوى الثقافي.

الخلاص على المستوى التشريعي

على المستوى الإقتصادي والاجتماعي، الروايات مليئة بالتعبير الوارد، أنه عندما يظهر عليه السلام يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً وهو أيضاً ربما كان المقصود من العنوان وهو الخلاص من كل ظلم يقع من البشر ضد بعضهم البعض، فلسفة النبوة قائمة على أن التخلص من الظلم وإحياء العدل لا يكون من خلال البشر، فهذا أصل من أصول القيام بمسألة النبوة، والبشر لا يمكنهم ذلك من دون هداية ربانية ولا تعني بالهداية الربانية خصوص أن يرينا التشريع لقد أرانا الله سبحانه وتعالى التشريع، ومع ذلك لم يتمكن من الوصول للعدل الإلهي، لم يتمكن من الوصول إلى الهدف النهائي الذي رسم لنا، لماذا؟ لأن المطبق أيضاً يجب أن يكون هو المعصوم ليطبق الشريعة كما يريد الله تعالى، وإلا فإن الحياة مليئة بالظروف المختلفة والأحوال المتناقضة، أحياناً نقدّم حكماً على حكمٍ آخر، أحياناً يشتهب لدينا الأمر بالأحكام، أحياناً تضيع علينا بعض الأحكام، خاصة مع مرور السنين، وكلما تطاولت الأزمان، فإن التاريخ ليس أميناً لكي يحفظ لنا كل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله،

ونحن المؤمنون جميعاً بأن رسول الله قد بلغ كل الشريعة، إلا أن هذا لا يعني أنها وصلتنا تامة، الذي يضمن وصولها تامة هو المعصوم لا الرواة، لأن الرواة فيهم الصادق والكاذب، والصادق منهم فيه المشتبه والذي لا يشتبه، المخطئ والذي لا يخطئ، والمتواتر فيه الموهوم تواتره والمتأكد تواتره، هوى النفس يلعب دوراً كبيراً في إثبات التواتر وعدم التواتر، فالأمر هو اطمئنان النفس بالنتيجة، وكثيراً ما يكون عنصر الاطمئنان مشكلاً من هذا الركون النفسي الذي قد يكون مزيفاً أحياناً وحقيقياً أحياناً أخرى، إذ لا ضمانة بأن ندعي بأن ما وصلنا هو ما جاء به رسول الله ﷺ، وأن ما وصلنا قد وصلنا بشكل صحيح، هذا إذ لا ضمانة على المستوى التشريعي من أنه لا بد من معصوم.

ضمانة على مستوى التطبيق والسلوك، في ذلك الطريق الموصل إلى ما يريده الشرع لا يكون إلا من خلال وجود نبي، ولهذا قيل أنه لو كان الهدف من النبوة (وقائل هذا الكلام الإمام الخميني رحمته الله) في بعض كتبه وبشكل خاص في كتاب الحكومة الإسلامية) هو أن يأتي النبي ﷺ فقط لنبيلغنا بالتشريع، لم يكن أهون عليه من أن يقول هذه هي الشريعة، ويضعها بين دفتي كتاب، ويقول خذوها وطبقوها، لماذا استمر الأمر عشرين سنة؟ لماذا بقي الرسول ﷺ هو الضامن والمطبق والمشرف والحاكم والقائد والمفسر والمبين والمتابع لكل الشريعة إلى أن توفاه الله سبحانه وتعالى، وبالتالي إذن التطبيق أمر دخيل في الهداية الإلهية والريانية، وهذا أمر كان يدركه المسلمون في ذلك الأوان.

مسؤولية الناس عن الغيبة

ما الذي حصل؟ لا نريد أن نستغرق في التاريخ، لكن الذي حصل أن الناس خذلوا رسول الله بعد وفاته، وكان الخذلان يمر من مرحلة إلى مرحلة أشد، بدأ مع منع أمير المؤمنين علي عليه السلام من إستلام الحكم، ثم ظهر بشكل قاسٍ جداً، عندما تفرد الأعداء بالإمام الحسين عليه السلام، إلى أن استشهد ومن معه، واستمر الخذلان والتقاعس إلى أن جاء وقت الإمام المهدي عليه السلام، وكان الخطر عليه وهو جنين، وهو في بطن أمه، ولهذا بدأت الغيبة من حين انعقاد النطفة، وخفى أمر حمله على الملأ كلهم، ولهذا اختلفنا ولِدَ أم لم يولد؟ واستمر، وكان ظهوره نادراً، وبدأت الغيبة الصغرى، ثم الغيبة الكبرى، في الروايات أنه لماذا غاب الإمام؟ من المعروف وهذا أمر يذكره علماؤنا كلهم، يخاف القتل، إذا كان يخاف القتل فلماذا لم يظهر؟ وإن قتل؟ ما يقوله علماؤنا، وهذا أمر يحتاج إلى تدقيق، طبعاً أنا شخصياً أؤمن بهذا لكلام، ولست في مورد إثبات له، فلو كان هناك بديلاً في طول التاريخ عن الإمام الحجة عليه السلام لم يكن هناك مانعاً، لكن ظهر وقتل، ثم جاء الإمام المعصوم الآخر، أما إذا انكشف لنا أن وجود إمام معصوم انحسر تاريخياً ومستقبلاً بهذا الإمام، فكان حفظه لا بد منه، وإذا كانت الناس غير مستعدة لحفظه ومواكبته ونصرته، فإلنا تعاقب بغيبته، ولهذا ورد لدينا في بعض الروايات المروية عن الباقر عليه السلام، رواها الصدوق في كتابه كمال الدين، أن الله إذ كره لنا جوار قوم نزعنا من بين أظهرهم، ولهذا اتفقت كلمة العلماء السابقين، أن الذي يتحمل مسؤولية الغيبة، هم الناس. وبالتالي الذين يتحملون مسؤولية وجود

هذا الظلم وهذا الخلل هم الناس، وإلا فليس الخلل من جانب الله تعالى، ولا من جانب الإمام المعصوم، وليست هوية أن يغيب الإمام المعصوم، فليست المسألة إذأ أن هناك تعبداً محضاً في غيبة الإمام المعصوم، الأصل هو ظهور الإمام، والاستثناء السلبي هو غيبته ﷺ، وللأسف الاستثناء استمر ما يزيد عن ألف سنة، والأصل لم يعمر أكثر من مائتي وخمسين سنة، وهذا الأصل أيضاً كان فيه إستثناءات. كان الأصل أن يكون الإمام حاكماً، ولكن الاستثناء استمر، لم يحكم المعصوم ابتداءً من رسول الله إلا فترة ٢٣ سنة، ثم خمس سنوات في أثناء حكومة الإمام علي عليه السلام، والباقي كله استثناء سلبي. وصل إلى قمته في مسألة الغيبة، أن يقتل الإمام الحسين مع من معه ليس الأصل، بل استثناء. إذا كانت الغيبة في كل مفاعيلها من حرمان لبعض الشريعة بسبب ضياعها إما المقصود أو الطبيعي بسبب التاريخ أو الحرمان من العدل الإلهي ونيل الهداية الإلهية مستندة إلى الناس، فالناس مسؤولون عن رفع هذا السبب لكي ينالوا الخلاص، ولكي ينالوا العدل الإلهي، ولهذا لن يكون ظهور الإمام المعصوم مسألة تعبدية محضة، وهذا موجود في كتب علمائنا وأن حركة الإمام الحجة حركة إعجازية، وإلا كان يمكن للإعجاز أن يبدأ عمله من حين توفي رسول الله ﷺ، وإنما المطلوب من الناس أن ترفع الحائل، ولهذا ورد لدينا أن انتظار الفرج خير عبادة، ما معنى أن تكون منتظراً ولا تمهد لظهور المنتظر؟ إذأ أنت لست منتظراً، ما معنى أن تكون مأموراً بالانتظار وأن تكون أسمى عبادة بينما يكون اهتمامنا بالحجة أقل من اهتمامنا بغيره من العبادات؟ مع أنه أفضل العبادات، هذا كله لزرع

الحافظ والداعي في قلب كل إنسان، لكي يجعل نفسه مستعدة لظهور الحجة ﷺ، وبالتالي المطلوب من الإنسان أن يكون قد ربّى نفسه على التسليم لله تعالى عقائدياً وفكرياً وسلوكياً وتشريعياً، والتسليم بما يأتي به صاحب العصر والزمان، والاستسلام المطلق له، وأن تعم هذه الحالة، حينئذٍ سيكون له الظهور. ولهذا قيل أنه لو ارتفع الخوف من القتل لظهر، والكلام ذكره الشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي في كتبهم.

ما هي فائدة وجود الإمام غائباً؟

وعندما يطرح السؤال، حرماننا من بعض بركات الإمام الحجة، فيقول السيد المرتضى نحن من حرماننا أنفسنا ذلك، ولهذا عندما يسأل ما هو الفرق بين وجود الحجة غائباً وبين عدمه؟ ما هي فائدة وجود الإمام غائباً؟ ولماذا لم يخلق حين يأتي أو ان ظهوره إن لم يخلق إلا حين يأتي أو ان ظهوره؟ يكون سبب التأخير هو الله تعالى، لا الناس، أما عندما يكون موجوداً ومختبئاً وغائباً، تكون سبب الغيبة الناس، فاللطف من الله تعالى تام، والنقص من الناس. بينما لو لم يكن موجوداً وأجل وجوده إلى أن يأتي زمان يقال أنه زمان ظهوره، لكان اللطف ممتنعاً من الله تعالى، ولا تمتنع النبوة والإمامة، وهذا الأمر لا تفكيك فيه، يعني أنه لا بد من وجود معصوم، هذا لا تفكيك فيه، مُنِعَ رسول الله ﷺ عشر سنين في مكة من القيام بدوره، هل يعني هذا أن يؤجل خلقه إلى أن يولد في المدينة ليكون أقدر على القيام بالمهمة؟ مُنِعَ رسول الله ﷺ خلال أيام ولو هي أيام الغار حينما اختبئ واختفى إلى أن ظهر من جديد،

وبالتالي عندما نسأل عن الفرق بين وجوده غائباً وبين عدم وجوده، هذا هو الفرق، أن المسؤول هو الله أم نحن؟ والله لطفه تام، فعلينا إذأ أن نبحث عن طريقة لكي نصبح قابلين لتلقي هذا اللطف، ولظهوره عجل الله تعالى فرجه الشريف، إذأ الغيبة بهذا المعنى تضع الإنسان كل إنسان أمام مسؤولياته، أنك سبب غيبته فعليك أن تكون سبب عودته، وبالتالي عليك أن تهيبَّ المناخ كاملاً لتحقيق هذا الخلاص، الذي لا مجال له إلا بوجود معصوم، وإلا فإن أي خلاص يمر من غير وجود معصوم هذا خلاف مبدأ النبوة، خلاف مبدأ الإمامة، ونكون قد خرجنا عن البحث لأن البحث له مبدؤه وله مبناه العقائدي، ولهذا عندنا أن الخلاص بالمفهوم المسيحي المرتبط بالنبوي عيسى عليه السلام يلتقي مع الحجة، لا يمكن أن يدعو دين لخلاص منفصل عن دين آخر وهما المنزلمان من عند إله واحد، وهما اللذان لا بد أن يلتقيا، وإن منع الناس من التقائهما، لأن الناس هم الذين منعوا من التقائهما، فلا بد أن يأتي اللقاء عندما يصبح الناس أكثر طوعاً وانقياداً للشرعية ولما يريد الله تعالى.

هل صححنا التاريخ؟

فإذأ نحن عندما نفهم الغيبة بهذه الطريقة، يصبح كل إنسان مسؤول عن صياغة نفسه صياغة أخرى، يصبح من خلالها المجتمع أيضاً مصاعماً صياغة أخرى، ويرتفع الخذلان، لا أنه بمجرد أن يظهر نعود لنفعل مثلما فعل الناس أيام أبي عبد الله عليه السلام، أو مثلما فعل الناس في مراحل أخرى، إمام معصوم ويقضي في السجن ٧ سنوات أو ١٤ سنة! فهل نحن صححنا التاريخ أم لا زلنا

في غلطة التاريخ؟ صححنا التاريخ يعني صرنا مجتمعاً مسؤولاً لاستقباله، أما إذا كنا لا زلنا كما نحن نكرر غلطة التاريخ ستمتد إذا غيبة الإمام سنة بعد سنة ومائة وألف، ولهذا لا تفتشوا عن علامات صاحب العصر والزمان في الروايات، فتشوا عنها في النفوس، فتشوا عنها في القابليات، فهذه العلامات تؤكد لنا أن الذي ظهر هو الإمام أم غيره، ولهذا كان الصدق من السماء، هذه علامة إعجازية على أن الظاهر هو صاحب العصر والزمان، أما العمل فهو ليس إعجازياً إذ قد يسقط الآلاف من الشهداء والآلاف من الأيتام والجرحى... المطلوب من الناس أن يكونوا كما كان المسلمون أيام رسول الله ﷺ، لا تتدخل المعجزة إلا عندما يكون الفعل تاماً من الناس وغير مقصرين، حينئذ يأتهم التأييد الإلهي، يأتهم المدد الإلهي، كما كان أيام بدر، فإن معركة بدر كان الناس مستعدين تمام الاستعداد، لم يكن يوجد خللٌ في نواياهم أو استعداداتهم، كان الخلل في الطرف الآخر، فأتى اللطف الإلهي، وبالتالي إذا علينا أن لا نعيش وهم أن الخلاص يمكن أن يتحقق بظهور الحجة بشكلٍ إعجازي، هو يأتي بتأييد إلهي، لكن الناس مسؤولة، وأن لا نعيش أيضاً وهم أن الخلاص يكون بطريق آخر غير طريق الإمام المهدي ﷺ.

وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بنية الوجدان الإنساني والخلاص - أبعاد وتجليات

الدكتور أسعد علي (*)

بسم الله الحليم، وذو الفضل العظيم، الرحمن الرحيم،
والصلاة والسلام على محمد وآل محمد، والسلام عليكم وعليكن
ورحمة الله وبركاته.

سأظهر بالفعل ما أريد أن أحدث به بالقول، أنا أعرف وأنتم
تعرفون عن سيرة الإمام الخميني، أنه كان يأتي لزيارة شيخه الشاه
آبادي ويسلم عليه فقط سلام «أحوالي شما» ثم يسكت ويبقيان
ساعتان بلا كلام، ثم «خدا حافظ» انتهى الحديث، يتعجب الناس
كيف جلس هذان الشيخان الجليلان، هذان السيدان العظيمان،
ساعتين بلا كلام، كيف يمكن ذلك؟ القلب يؤدي إلى القلب، ذكرتكم
بهذا الكلام، فإذا وجدتموني بكلماتي غير مفهوم حيلوها للقلب،
فالقلب سوف يقول لكم ما تفهمه قلوبكم، بلا ترجمة وبلا أية
وساطة.

سماحة الشيخ قال أمراً مهماً جداً، أن لا تبحثوا عن صاحب
الزمان في مثلث برمودا، ولا تفتشوا عن صاحب الزمان في أماكن،
ولكن ابحثوا في النفوس، أن يكون صاحب الزمان ساكن في مكان
قريب جداً، ونحن لا نراه.

ما هو رأيكم عندما تنقطع الكهرباء؟ لا نقرأ ولا نرى! وإذا

(*) أمين عام مجمع نهج البلاغة العالمي ورئيس الاتحاد العالمي للمؤلفين باللغة العربية.

انقطع الهواء ماذا يحصل؟ تستطيعون العيش بلا هواء؟ لا يمكن العيش بلا هواء، ومع ذلك نحن لا نرى الهواء، فإذا كانت أرجوحة بن نرجس تطير في الفضاء مع عطر النرجس، وتسكن في تلافيف أدمغة النساء، ألا يمكن أن يكون هناك في النساء؟ إذا عيشوا بالأنسام دائماً، تنشقوا، يعني تذكروا النرجس وازرعوا في حدائقكم نرجساً فعطر النرجس يذكرنا أيضاً بأن صاحب الزمان بن نرجس، الجانب الجمالي وجانب اللطف، وهو بن العسكري الجانب الجلالتي، جانب القوة جانب القدرة وسمعنا من سماحة الشيخ تقول الكتب، تقول الروايات، أنه حتى من وقت الحمل ففي أمره حتى يوم عمه الإمام العسكري، ما كانت ترى في بطن نرجس شيئاً.

عندما تشرفت بزيارة الإمام الخميني رحمته الله. (كما أشرف اليوم بزيارة مركز يحمل هذا الاسم الشريف، ويقوم بقلوب نظيفة ومتحمسة، وأنا سعيد بهؤلاء الشبان الذين يقومون بالعمل في هذا المركز، لأنهم سيتحدثون عن صاحب الزمان وينادونني بالهاتف نعم نريد الخلاص نريد الحديث عن صاحب الزمان، ولم أشعر أنهم خائفون من شيء، بل هم مطمئنون وواثقون أنهم لا يخافون أذى، في طهران، وكان اليوم أحداً، وفي يوم الأحد نحن قليلو الكلام، أو لا نتكلم في الأصل، حملت له باسم الاتحاد العالمي للمؤلفين باللغة العربية كتاب «في أضواء القرآن»، وهو سبع قراءات لكل سورة (وهو مقدم لمولانا صاحب المساكن المتنقلة مع عطور النرجس، إلى صدور محبيه وغير محبيه، الناس يعيشون ببركات أطياب نسمات هذه الحضرة الجمالية النرجسية الجلالية العسكرية) حدثته

بسرعة لأن اليوم كان ذكرى المبعث والناس يأتون ويذهبون، فقلت له هذا الكتاب أرسله إليك الاتحاد العالمي للمؤلفين باللغة العربية، ولكنهم أرسلوه ليس لأنك طردت شاهنشاه، (وأستطيع أن أصور لكم كيف حواجه الشريفة اقتريت من بعضها وتداخلت) لأنهم لا يرون بشاهنشاه شيئاً مهماً، ففي كل ساعة يطرد ملك، لكن هم يقدسون الذي كتب آداب الصلاة، وبدأت أذكر من كلماته، وتوقفت مع سر صلاة العارفين، فبدأت حواجه تعود إلى الانفراج، يقول الإمام الخميني في وصيته الخالدة نحن فخورون بأن أئمتنا المعصومين بدءاً بعلي بن أبي طالب، وإلى منجي البشرية حضرة المهدي صاحب الزمان ﷺ عليهم آلاف التحية والسلام، الذي هو بقدره الله القادر حيٌّ وناظر للأمر، هذا هو رأي الإمام الخميني بالانتظار والوصول، الذي هو منجي البشرية، حضرة المهدي صاحب الزمان عليه آلاف التحية والسلام، هو بقدره القادر حيٌّ وناظر إلى الأمور، هذه عقيدة الإمام الخميني في الإمام المهدي، هو حيٌّ وناظر إلى الأمور وهذا يعفينا كثيراً من أن نبحث في كثير من الأمور في برمودا أو في غيرها.

صاحب الزمان المتجلبب بحروف الدين، المتجلبب بسر الحركة بين الغرب والشرق، هو هنا وهناك بالتأكيد لماذا السيد الخميني يقول المهدي؟ ويقول صاحب الزمان؟ لماذا المهدي، ماذا يعني؟ المهدي من الهدى والهداية، هل هو وحده يمتاز بالهدى والهداية؟ غريب آل محمد عالم آل محمد الإمام الباقر، الإمام علي، الإمام الهادي كلهم في الهدى والهداية، مثل ما نقول بعلبكي، مثلما نقول جنوبي، مثلما نقول دمشقي نسبةً لبيته، لبلده، لقريته، لمملكته من

الممكن أيضاً أن يكون عندما نقول المهدي كذلك، أنتم تعلمون في القرآن الكريم أن الأرض سميت مهدياً «جعل لكم الأرض مهدياً» إذاً هو مهدي لأن مملكته هذه الأرض، لأن دولته في هذه الأرض، ليس لأحد أن يتنازل عن شبر واحد فيها، ولا عن ذرة، ولا عن أي مكان، ولا عن أي طائفةٍ من الطوائف. إن المهدي لهؤلاء جميعاً، والمهد مملكته. إذاً هو المهدي لأن مملكته أنت.